

## الانحياز الجنسي (مركزة الرجل وتهميش المرأة) في رسائل الجاحظ (٢٥٥هـ)

الباحث مثنى حسن عبود الخفاجي

jajaali195@yahoo.com

الأستاذ الدكتور عباس محمد رضا البياتي

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل

ملخص البحث :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أظهر خلقه أجمعين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .. أما بعد ..

يحاول هذا البحث أن يسلط الضوء على موضوعة رئيسة من الموضوعات التي يشتغل عليها النقد الثقافي وهي الانحياز الجنسي، متخذاً من متن الجاحظ المتمثل برسائله مادة تشريحية مشجعة لاكتشاف بصمات هذا النسق الثقافي الذكوري المتغول في بنية الثقافة العربية منذ القدم ، وتتخلص الفكرة المحورية التي يجاهد البحث في سبيل اثباتها وتوطئتها بأن الجاحظ قد نصر الرجل على حساب المرأة ، وكدح في سبيل مركزة الذكر وتسيده وتهميش الأنثى وقمعها منطلقاً في ذلك من ذاكرته الجمعية ومساهماتاً في الآن نفسه في تكريس الوضع الراهن، وترسيخ النسق الثقافي الوثيق في الثقافة العربية والإسلامية، ولا سيما العصر العباسي الذي عاش فيه الجاحظ .

**الكلمات المفتاحية :** ( النسق الذكوري، التمييز الجنسي، النسق الثقافي، القهر الاجتماعي، رسائل الجاحظ، النظام الأبوي).

### ABSTRACT

This paper tries to shed light on its President of the topics that runs the cultural criticism, a sexual bias, taking the board bigeye of issuance of his communications material anatomical encouraging to discover the fingerprints of this patriarchal cultural pattern Almgol in Arab culture structure since ancient times, and summed up the central idea, which is struggling Search For provable and indigenization that bigeye may insist the man on the expense of women, and toil in order to centralize the male and Tsidah female, suppression and marginalization of the starting point in that of his memory Assembly and contributing at the same time in perpetuating the status quo, and the consolidation of the close cultural pattern in the Arab and Islamic culture, especially the Abbasid era in which he lived bigeye.

**Key words:** male pattern. sexual discrimination cultural pattern social oppression bigeye messages batriarchy .

بلغت أحوال المجتمع العربي وأوضاعه في العصر العباسي أدنى معدلاتها ووصلت إلى أخفض مستوياتها وتناهدت إلى أسفل درجاتها من حيث الانضباط الأخلاقي والالتزام الديني، وقد شمل ذلك طبقات المجتمع وأصنافه كافة من رجالات سلطة إلى موظفي دولة إلى متقنين إلى عوام<sup>(١)</sup>، فقد هرع الجميع إلى الدنيا وتشبثوا بمبدأ الاستمتاع بالحياة واعتنقوا عقيدة التلذذ بمتعها وزينتها وبهاجرها ومغرياتها الفانية وتفننوا في ذلك بشكل عجيب<sup>(٢)</sup>، وتهالكوا على الملذات والرغبات الدنيوية وتكالبوا على اشباع الغرائز والشهوات الحيوانية، وانتشرت أسواق النخاسة والحانات والديارات ومجالس الانحطاط وقصور الرذيلة وشاع اللهو على أنواعه من المجون والتهتك والدعارة ومعاقرة الخمر والانبذة إلى الرقص والغناء إلى اللعب واللهو إلى مخالطة النساء وسائر الوان الفسق والانحلال والفجور، ونشأ عن هذا فتور في ممارسة موجبات الدين وانحلال في الأخلاق الاجتماعية واستهتار في الشؤون العامة<sup>(٣)</sup>، ولعبت الجوارى والقيان دوراً رئيساً في تفشي الخلاعة والعهر والانحطاط الاجتماعي ونشر الرذيلة والمجون والفساد والتفسخ الاخلاقي في أرجاء المجتمع العباسي كافة<sup>(٤)</sup>؛ نظراً للانفجار السكاني والكثافة البشرية التي شهدتها المجتمع العباسي من حيث الجوارى والقيان، إذ تضاعفت اعدادهن وتكاثرت

جموعهن بشكل مربع وازدحمت بهن القصور والمجالس والبيوتات العباسية، وانتعشت تجارة الرقيق وتعددت أسواق النخاسة واقتناهن الجميع على اختلاف مستوياتهم الثقافية والمعاشية والاقتصادية والاجتماعية؛ نتيجة الفتوحات والغزوات المستمرة التي شرعت بها الدولة العباسية للبلاد غير الإسلامية، حتى أطلق على العصر العباسي بعصر الجوّاري بامتياز<sup>(٥)</sup>، وتنامى نظام التسري بالإماء وزاحم في نشاطه وحيويته ونقشيه نظام الزواج الاعتيادي وتفوق عليه في أغلب الأحيان<sup>(٦)</sup>، حتى أصبح معظم الخلفاء العباسيين من أبناء الجوّاري وليس الحرّاء<sup>(٧)</sup>، وكان من النتائج المترتبة على ذلك أن قمعت المرأة وامتنت عزتها وانحطت مكانتها في المجتمع العباسي وسحقت كرامتها في الأرض وتقلصت قيمتها إلى حد التلاشي والاضمحلال وصارت في نظر الرجال وأعرافهم سلعة مبتذلة سهلة المنال للقاصي قبل الداني والوضيع قبل الرفيع، وذهبت عزة نفسها واستقلال فكرها واستحالت العلاقة بينها وبين الرجل إلى علاقة قائمة على اللذة الحسية والمتعة والجنسية حصراً<sup>(٨)</sup>، (( فاحتقرها الرجل وأساء الظن بها وصار يعدها عدوة له ويوصي بعدم الركون إليها فيعاشرها على غل وسوء رأى يقفل عليها الأبواب والنوافذ ويسد في وجهها الطرق والمسالك ويمنعها من الخروج أو الكلام .. ))<sup>(٩)</sup>.

لقد مدت تلك الظروف التي شهدتها المجتمع العربي في العصر العباسي النسق الذكوري المتأصل في الثقافة العربية منذ العصر الجاهلي بأسباب القوة والسطوة والاستحكام، وأعانتها بمقومات النجاح والتأثير والصمود، وزودته بأوكسجين البقاء والاستمرار، ودعمته بعناصر الازدهار والانتعاش والتمدد، وأسعفته بعوامل التعملق والتضخم والرسوخ، وشجعت في الآن ذاته الثقافة العربية في العصر العباسي على التمادي في تهميش المرأة وطردها وتغييبها والإيغال في إقصاءها وكتبها ولجمها، والمغالاة في قمعها واسكات صوتها واهانتها على الصعد والمجالات كافة، وجسرتها على قوقعتها في الدرك الأسفل من منازل المجتمع ومقاماته؛ مما فعل النظام الأبوي<sup>(\*)</sup> في المجتمع العباسي ووطد بنيته البطريركية، (( القائمة على مؤسسات وعلاقات اجتماعية تكون المرأة فيها ذات وضعية أدنى خاضعة لمصلحة الرجل ويتبوأ الرجال السيادة والمنزلة الأعلى حتى يمتلكوا سلطة تشكيل حيوات النساء انفسهن مما يخضعهن لأشكال من القهر والكتب تفرض على المرأة حدوداً وقيوداً وتمنع عنها إمكانات النماء والعطاء فقط لأنها امرأة حتى تبدو الحياة كأنها حق للرجل وواجب على المرأة ))<sup>(١٠)</sup>، وتغدو الحضارة الإنسانية في مختلف مجالاتها وقرعاتها منجزاً ذكورياً بحثاً، يغول مركزية الرجل ويعضّل سلطته ويوثق سطوته ويفجر تعسفه ويشرعن استبداده الجنوني حيال المرأة ويمعن في تبعيتها له ويؤزر قهرها لها ويتطرف في تغييبها وتهميشها حد العدمية والانحطاق والازهاق<sup>(١١)</sup>.

يجاهد النسق الذكوري القائم على قمع الجنس الآخر واذلاله ومصادرته وحجبه تماماً؛ من أجل الاحتجاج والبرهنة على استحالة التطابق والتشاكل بين الرجل والمرأة على مستوى علاقات الإنتاج وقواعد المبادلات الرمزية، فهو عندما يدهم وعي النساء ويستحوذ على حقوقهن ويمتلك أجسادهن يؤكد أن السيطرة ليست تمثيلات عقلية وأيديولوجيا متواترة، بل هي نظام من البنى المتجذرة التي تزج بالمسيطر عليهن إلى الإقرار القسري والاعتراف المرغم بامتياز المهيمن وتأسيس اليقين بشرعية هيمنته، ووفقاً لسباق الهيمنة الذكورية، تستنطق المرأة وتقارب من الأسفل إلى الأعلى وتتمظهر بكونها رموز تنقش الدلالة خارجها، ومن هنا يتلخص واجبها الأوحده في مباركة رأس المال الذكوري الرمزي والسعي الحثيث والإصرار الكبير على زيادته ومضاعفته<sup>(١٢)</sup>.

لقد شكلت النزعة الأبوية نظاماً أخلاقياً محكم الإغلاق وحصين الانسداد بوجه أي حركة تحريرية تحاول أن تقوم بها المرأة أو حتى تفكر؛ بها يهدف إلى إضفاء الشرعية على سلطة الذكر؛ عبر التوسل بآليات السيطرة على جسد الانثى والاستعانة بالتقنيات الضابطة لحركتها وسلوكها والمقننة لفعالها الجنسي والمعيقة لتحررها وتمردها والمصادرة لحقوقها بما يشتهي هواه هو وليس كما تريد هي، وعليه فقد تم تكوين منظومة هائلة تتشكل من مجموعة من القيم والعادات والأعراف

والتقاليد والسنن الاجتماعية والأخلاقية التي تسبغ على الأشياء وتلبس الظواهر ثوب الاباحة أو التحريم طبقاً لأهواء المؤسسة الذكورية ومصالحها وغايتها المؤدلجة<sup>(١٣)</sup>؛ وهذا ما جعل الخطاب الثقافي قبال المرأة في العصر العباسي (( تجسيدا للقيم الذكورية وأحادي الجانب باقتصاره عليها واستبعاده لكل ما هو انثوي ))<sup>(١٤)</sup>؛ لان المرأة أوطأ من الرجل في كل شيء وليس أمامها سوى الاستسلام والامتثال والخضوع للسلطة الذكورية، ليس من باب كونها مغتصبة ومنتهكة ومستلبة وذليلة فحسب؛ بل لأن الله تعالى قد وهب العزة والقوة والقدرة والشرف للرجل حصراً وقدر الأمور ورتب الأوضاع، وجعل كل جنس في المكان الملائم له ووضعه في المرتبة اللائقة بإمكانياته وسماته التي منحها له<sup>(١٥)</sup>.

أنتج الجاحظ نصيآته الجنسانية المبنوثة والمتوزعة على رسائله الثلاث (القيان والنساء ومفاخرة الجوارى والغلمان) في ظل ذلك المجتمع العباسي، المشحون بالقيم الذكورية والأسن بها والمشرب والموغل في تقديس السلطة الأبوية بكل أشكالها، والغارق في تياراتها والغازطس في مستنقع الخنق والوآد لكل ما ينتمي إلى الانوثة بصلة؛ ولهذا فمن الطبيعي أن يكون خطاب الجاحظ الجنسي منصاعاً ومستكيناً وراضحاً للنسق الثقافي الذكوري المهيمن على الحياة الاجتماعية والثقافية في تلك المرحلة من التاريخ، ومنطلقاً من الثقافة الأبوية التي تمنح الامتياز والتقدم والسيادة للذكور على الاناث، ومتأثراً بالظرفية التاريخية التي ولدته وحاملاً لجينات وفابروسات الأجواء الثقافية التي افرزته، ومنسجماً ومتطابقاً مع النظام الثقافي ومنتقاً ومتناعماً مع خطابه العام الحاكم للعصر بكل تشكيلاته ومناحيه ومجالاته وتفريعاته الثقافية؛ لأن المثقف ونصوصه في الأعم الأغلب ما هو إلا نتاج لعصره وبيئته التي نشأ وترعرع وتكون فيها ثقافياً يتأثر بها ويؤثر فيها في الحين ذاته .

للسنق الذكوري حضور طاغ في رسائل الجاحظ وله تجليات عدة وهيئات متباينة وصور متنوعة وأساليب مختلفة وآليات شتى تتآزر وتتكاتف جميعها بغية تشكيل الخطاب الجنسي العام له، الأمل إلى تثبيت ذاك النسق الثقافي وغرسه في التربة الحضارية للمجتمع العباسي ذلك المجتمع، الذي (( يقوم المرأة من خلال معيار البدن : المادة ولا ينظر إليها إلا من خلال صورة الجسد فيكون حضورها جسدياً خلاف الفحل الذي يمثل العقل فيعرف من خلال أعماله وتجاربه وأقواله فيكون حضوره عملياً مفصلاً عن معيار الجسد ))<sup>(١٦)</sup>، وفي مقدمة تلك الصور النمطية التي رسمها الجاحظ عن المرأة تصويرها بوصفها مادة غنية وموضوعاً خصباً لتحقيق المتعة الجنسية للرجل، فمن مروياته في ذلك قوله : (( تزوج رجل امرأة وكان معه [.]\* عظيم جداً، فلماً [.]\* أدخله كلّه في [.]\*، ولم تكن تقوى عليه امرأة، فلم تتكلم، فقال لها: أي شيء حالك خرج من خلفك بعد؟ قالت: بأبي أنت وهل أدخلته؟ ))<sup>(١٧)</sup>.

تبرز المرأة المتزوجة في مروية الجاحظ هذه في صورة في منتهى الانحلال والبؤس والازدراء؛ عبر استعارتها لأسلوب العاهرة المتبجحة بنهما الجنسي، واقتراضها للغة الساقطة المتفاخرة بشهوتها المفرطة، واستلافها لمنطق المتهتكة المستمعة بالإهانة والاذلال والعنف الذي يمارسه الرجل في حقها أثناء العملية الجنسية؛ وبذلك تختزل نفسها وتقلص ذاتها وتقزم حجمها من ذات فاعلة في الحياة وشريكة للرجل وقسيمة له في كل شيء، إلى مجرد أداة طيعة بيده وجسد مذعن في خدمته ولعبة مبتذلة مسخرة له للتلذذ والمتعة الجنسية وإفراغ شبقه وإشباع شهوته؛ وبذلك فهي تمارس القمع الرمزي والقهر الذاتي على نفسها بنفسها .

ويتوسل الجاحظ بتقنية الطرفة الجنسية كحيلة ثقافية لكي يمرر نسقه الذكوري ذاك، ويسهم في ترسيخه في البنية الثقافية للعصر العباسي ، عندما يصور المرأة في صورة المبتذلة المتلهفة لممارسة الجنس والمنشوقة للقمع الذكوري، والخبيرة بإيجاد المعالجات والحلول للمشاكل الجنسية التي تواجه الرجل وتحول دون اشباع غرائزه وملذاته ؛ وبذلك تنهض بدور المرشد الذي يبصر الجاهل بقضية جهلها ويهديه إلى الطريق الصحيح؛ نتيجة للخبرة المتراكمة بالنسبة إليها

وممارستها الطويلة للفعل الجنسي، إذ يقول : (( اشترى قومٌ بغيراً وكان صعباً، فأرادوا إدخاله الدار فامتنع، فجعلوا يضربونه وهو يأبى، فأشرفت عليهم امرأةٌ كأنها شقّةٌ قمر، فبهتوا ينظرون إليها، فقالت: ما شأنه؟ فقال لها بعضهم: نريده على الدُخول فليس يدخل. قالت: بلُّ رأسه حتى يدخل ))<sup>(١٨)</sup>.

إن شبقية المرأة ولهفتها الجنسية وعدم قدرتها على السيطرة على غريزتها جعلها تتخذ من موقف البعير الذي عجز أصحابه عن إدخاله إلى البيت؛ لعناده وصعوبة مراسه أولاً ولقلة خبرتهم في أمور سوس المواشي ثانياً، قناعاً للإفصاح عن رغباتها المكبوتة وللتفريغ عن توقها الجنوني لفعل المضاجعة وللتنفيس عن حاجتها الماسة للعنف والقوة الذكورية في اثناء الممارسة ، هذا ما يدل على طول البعير وضخامة جثته؛ مما أدى إلى صعوبة إيلاجه في المكان المراد ذلك الطول، وتلك الضخامة الثلثين توازيين في ذلك رغبة المرأة وحاجتها إلى قضيب بشري بمواصفات ذلك البعير من حيث الطول والضخامة ، وهي هنا تقدم استشارتها الحاصلة نتيجة الممارسة والخبرة في هذا المجال عبر جملة (بل رأسه) .

والجاحظ كما هو معروف عند الجميع ملك السخرية الأدبية وفارس التهكم الثقافي، ولعل ذلك يفسر استعانتة في كثير من الأحيان بالأسلوب الساخر المعتمد على آلية النكتة وتقنية النادرة الأدبية، ويتخذ منه ستاراً لتحقيق مآربه الماكرة وأهدافه المخادعة في جزء كبير من منجزه الثقافي، ولحساسية الموضوعات الجنسية في المجتمع العربي وتحرز أفرادها عن الإفصاح والحديث عنها بشكل مباشر وصريح ؛ لكونه مجتمعاً يدعي في الظاهر التزمت والوقار والزهد والورع ويسهر على تقديم صورة مخالفة لواقع الانسان العربي في ذلك الوقت، بكونه شخصاً ملتزماً بمبادئ الدين الإسلامي ومحافظاً على مبادئه وثوابته ومستميتاً في تطبيق شرائعه وأحكامه حرفياً، وكذلك لشدة وقع تلك الموضوعات وعظم تأثيرها في شخصية الانسان العربي ونفسيته وخطورة النتائج وفداحة العواقب المترتبة على ذلك، نجد الجاحظ يستعين مراراً وتكراراً بأسلوبه الساخر المحتال في التأسيس لخطابه الجنسي؛ لغرض تمرير النسق الذكوري وترسيخه في بنية المجتمع العربي في العصر العباسي، إذ يقول في مروية أخرى : (( قال : نظر رجلٌ بالمدينة إلى جاريةٍ سريةٍ ترتفع عن الخدمة، فقال : يا جارية، في يدك عمل؟ قالت: لا، ولكن في رجلي ))<sup>(١٩)</sup>.

ما يلفت الانتباه في هذا النص ليس شراهة الجارية في طلب الممارسة الجنسية؛ لأن ذلك يندرج ضمن المهمة المركزية التي تقتنى من أجلها الجارية في أعراف المؤسسة الاجتماعية للعصر العباسي، بوصفها مصدر لاستمرار حياتها واقتناص لقمة عيشها، ولكن تطور وسائل النساء في الاغراء والفتنة وتقدم أساليبهن في الجذب والغواية والاثارة بالنسبة للرجال بكل تبجح ووقاحة وصلافة وشفافة ، حتى نجد الجارية هي من تنقصد دور الرجل في التحرش الجنسي وطلب المضاجعة معه بطريقة تفوح منها السفالة والعهر والانحطاط الأخلاقي، وهنا تصل المرأة إلى أرحج الدرجات وأقصى المراتب في سلم الشبق والالتهاب الجنسي والغضب والاشتعال الغرائزي ؛ وبالنتيجة فهي تمارس القمع والازدراء والاحتقار حيال ذاتها بأدواتها هي؛ مما يصب في نهاية المطاف في صالح النظام الأبوي الذكوري ويؤدي إلى تهميشها ومركزته، فإن (( كانت للرجل إرادة حرة وقدرة على ضبط النفس فإن المرأة ليست لها هذه الخصال بل هي تتميز على النقيض بالخضوع والاستسلام والطاعة لأوامر الرجل وسيطرته ))<sup>(٢٠)</sup>.

ويلبس الجاحظ امرأة رسائله إن جاز لنا التعبير ثوب لا يقل إذلالاً وخنوعاً ولا خزيّاً ولا عاراً، حينما يصورها في صورة الأم الخبيرة بأوضاع الممارسة الجنسية والضلعية في الكيفيات الناجعة في مباشرة النساء والمختصة البارعة في معرفة التقنيات والأساليب الملائمة لكل نوع من النساء والمرشدة للرجال والمعلمة لهم بأساليب استحصال المتعة والامساك بالنشوة الجنسية، إذ يقول : (( وقال ابن حُبِّي لأُمِّه: يا أُمِّه، أيُّ الحالات أعجب إلى النساء من أخذ الرجال إياهن؟ قالت:

يا بني، إذا كانت مُسنَّة مثلي فأبركها وألصقُ خدَّها بالأرض ثم أوعبُه فيها. وإذا كانت شابةً فاجمع فخذنيها إلى صدرها فأنت تدرك بذلك ما تريد منها وتبلغ حاجتك منها ((<sup>(٢١)</sup>).

الأمر الطبيعي أن توصي الأم ابنا المقبل على الزواج بكيفية التعامل مع زوجته بما يرضي الله تعالى ، وبما يضمن الحقوق ويكفل الواجبات بالنسبة للطرفين ، ومن ثم تحقيق السعادة والارتياح لهما على مستوى أخلاقيات المعاشرة الاجتماعية وأدبياتها، ولكن الغريب بالأمر أن يحدث الانقلاب المهول في وظيفة الام الطبيعية ، لترتدي لباس المومسات المعتزلات للمهنة؛ نتيجة لتقدم السن ومقتضيات المهنة، كل ذلك يدل على أخطبوطية النسق الذكوري وتغلغله في المجتمع العربي في تلك المرحلة بمساراته ودروبه وقصباته كلها .

ويستمر الجاحظ في إبراز الفعالية والتشوق الجنسي للنساء المسنات، ولا سيما حينما يشعرن بحسرتن على ذهاب الشباب وندامتن على تصرف العمر وشكايتن من استهلاك الأجهزة، التي كانت تتم عبرها عمليات الغواية والفتنة الجنسية بالنسبة إلى الذكور؛ مما يؤدي بالضرورة إلى تهديد حياتهن بالفناء والانقراض، ارتكازاً على كون الجنس اللينوع الذي يمد المرأة بأوكسجين الحياة، إذ يقول على لسان إحدى العجائز :

(( وخضبت ما صبغ الزمان فلم يدم صبغي ودامت صبغة الأيام

أيام أُمسي والشباب غريرةً [.]<sup>(\*)</sup> من خلفي ومن قُدَّامي ))<sup>(٢٢)</sup> .

إن نهم الحماسة الجنسية إذا ما تسبب في استهلاك الأجهزة الانثوية الجنسية واستنزافها، نتيجة الممارسة الطويلة والاشتغال المستمر من طرف المرأة، لا يكون دائماً باعثاً لسعادتها الشكلية ولا مصدراً لمتعها الجنسية المزعومة، بل قد يؤدي إلى نتائج كارثية ويفضي إلى عواقب وخيمة ويتحول إلى عامل من عوامل هجر الرجل وتركه لها وانفصاله عنها وعزوفه عن اتيانها ؛ وبالنتيجة اطلاق رصاصه الرحمة عليها، ومن ثم البحث عن جسد آخر أكثر صلاحية وأفضل مواصفات؛ لغرض تنفيذ المطامح والآمال الذكورية التي لا تنتهي فيما يتعلق بالشهوة الجنسية، فلا يهيم الرجل من المرأة سوى قدرتها على امتاعه واشباع غرائزه المجنونة، إذ (( لا تعني المرأة بالنسبة إلى العربي شيئاً آخر سوى إنها جسد فحسب ونظرته إليها نظرة حسية ))<sup>(٢٣)</sup> خالصة، يقول الجاحظ : (( وقيل لامرأة من الأشراف كانت من المترججات: ما بالك مع مالك وشرفك لا تمكثين مع زوجك إلا يسيراً حتى يطلقك؟ قالت: يريدون الضيق، ضيق الله عليهم ))<sup>(٢٤)</sup> .

ولكن ماذا لو حاولت المرأة أن تقلب طرف المعادلة وتبعثر الأوراق وتغير الأوضاع القائمة رأساً على عقب، وتحاول استرداد حقوقها المغتصبة والانتقام لكرامتها الممتهنة من طرف الرجل، يروي الجاحظ : (( وكانت بالمدينة امرأة ماجنة يقال لها سلامة الخضراء، فأخذت مع مخنثٍ وهي [.]<sup>(\*)</sup> بكيرنج<sup>(\*\*)</sup>، فزُفعت إلى الوالي فأوجعها ضرباً وطاف بها على جمل، فنظر إليها رجلٌ يعرفها فقال: ما هذا يا سلامة؟ فقالت: بالله اسكُت، ما في الدنيا أظلم من الرجال، أنتم [.]<sup>(\*\*\*\*)</sup> الدهر كله فلماً [.]<sup>(\*\*\*\*)</sup> كم مرة واحدة قتلتمونا ))<sup>(٢٥)</sup> .

لقد كانت النتائج مؤلمة والعواقب وخيمة بالنسبة لتلك المرأة التي حاولت أن تخلخل النسق الثقافي الذكوري العام المستفحل في العصر العباسي، وتفكك بنيته من الداخل، وتأخذ بثأرها من الرجل وتعيد للمرأة شيئاً من اعتبارها المتأكل وهيبته المدمومة وذاتها المستلبة وعزتها المفقودة وشرفها المنتهك بمخالب القضيب الذكوري، ودفعت تلك المرأة الماجنة ثمناً باهظاً لقاء تمردها على السلطة الذكورية المتغولة في المجتمع العباسي .

ما يثير الانتباه في النصيبات الجنسية التي أوردها الجاحظ في رسائله، هو تكلم الجاحظ بالوكالة عنها، وبذلك يصل القمع الذكوري الممارس حيال المرأة إلى أقصى درجاته وأعلى مراتبه؛ لأن فعل المصادرة والتهميش الذكوري للمرأة يتجلى عبر مرحلتين تكمل بعضهما الأخرى، تتمثل الأولى بقمعها على مستوى الجسد وتحويلها إلى دمية بلداء ساكنة غايتها

الأساس توفير المتعة واللذة للعنصر الذكوري، وتتجلى الأخرى بطرد الرجل لها من المجال اللغوي، ف (( حينما أخرج الرجل المرأة من اللغة وتحققت له السيادة التعبيرية من خلال صناعة الكتابة راح يصوغ المرأة على الصورة التي تحلو له [..] ولم يكتب الرجل بتصوير المرأة حسب ظنونه عنها بل إنه تولى التحدث بالنيابة عنها ومن هنا فإن الرجل يكتب المرأة في لغته هو وليس في لغتها ويستنتقها حسب منطقها ويديرها حسب هواه فيها ولم تعد المرأة ذاتاً لغوية أو ثقافية ولكنها صارت مجرد موضوع أو أداة رمزية قابلة للتوظيف والترميز والتحميل الدلالي الذي يدور دائماً حول قطب مركز واحد هو الرجل ))<sup>(٢٦)</sup>، فانطلق بحماسة منقطعة النظير برسم المرأة ونقشها في صورة مفعمة بالخيال والظنون المريضة ومترعة بالتهيات والتصورات البعيدة عن طبيعتها الحقيقية وواقعها الفعلي، تواترت عبر الأزمنة حتى توطدت بوصفها شيئاً مألوفاً وطبيعياً، وفي خضم ذلك جرى عملاقة الجانب الحسي فيها، حتى انقلبت إلى مجرد جسد شقي، تتركز مهمته الأولى وتقتصر وظيفته الجوهرية على فتنة الرجل وإغرائه وتحقيق المتعة الجنسية له<sup>(٢٧)</sup>، فمعظم أصوات النساء المفصحة عن رغباتهن الجنسية المكبوتة وردت على لسان الرجال، عبر رواية حكاياتهن وسرد تجاربهن اعتماداً على موقعهم الذكوري، الذي يهب الأصوات دلالات ومضامين تتناغم وتتوافق مع الذخيرة الذكورية ومركزيتها وفاعليتها الثقافية، وعلى الرغم من إن النساء في هذه المرويات تتمظهر صورهن بوصفهن فواعل جنسية وإرادات مؤثرة، بيد أنهن لا يتجلين بوصفهن راويات ومدونات للفعل الجنسي، بل بعدهن حكايات نزعن من سلاح الكتابة وجردن من سلطة التدوين التي احتكرها الرجال ؛ في سبيل تشكيل المفاهيم وتوليد التمثيلات وبناء على هذه المعادلة الضيزي، فإن النساء لا يعدون أن يكن أكثر من دلالة ينتجها الرجال من أفكارهم وخيالهم ولغتهم، بوصفها إحدى أنجع الوسائل الدفاعية التي تكفل لهم كينونتهم اللغوية وامتيازاتهم البطريكية<sup>(٢٨)</sup>؛ لأن المرأة في المخيال الذكوري (( .. ناقصة إذن عاجزة والعاجز يحتاج إلى وصي يتولى أمره وينوب في الإفصاح عنه والتحدث باسمه وهكذا تكلم الرجل وكتب عن المرأة ))<sup>(٢٩)</sup> .

إن المتخيل الذكوري وإن اختزل الأنثى بوصفها أداة جنسية للامساك باللذة وإشباع الغريزة<sup>(٣٠)</sup>، فإن ذلك لا يبرأ ساحة المرأة في تشكيل ذلك المتخيل الأيديولوجي وتأثير دواخله وتنظيم مفاهيمه ورسم مساراته<sup>(٣١)</sup>، إذ (( لم تكن المرأة العربية مجرد موضوع جنسي بل إنها كانت ذاتاً ساهمت في تشكيل الجنسانية عن طريق تنصيب تجربتها الجنسية ولعل الناظر الفاحص في كتب الأدب العربي القديم يعثر على نصيات هائلة تجسد صوت المرأة وهي تعبر عن هواجسها ورغائبها الجنسية بصرف النظر عن مآل خطابها الاعترافي وعن وضعها الاجتماعي ونتيجة مكاشفتها وجرأتها في البوح عن تجاربها الجنسية ))<sup>(٣٢)</sup> .

ولم يقتصر الجاحظ على الحكايات والمرويات في تأسيس خطابه الجنسي وانارة بؤرته المركزية وترسيخ هدفه الجوهري، المتمثل بمركزة النسق الذكوري وتوطينه، بل تضمنت رسائله بعض الرؤى ووجهات النظر المتعلقة بالممارسة الجنسية التي تحاول تبرير الهيمنة الذكورية وتسويغ القهر الاجتماعي الذي يمارس قبال المرأة، باختزالها إلى مجرد جسد شهواني وضيق وخامل قابع وراء الرجل وخاضع لرعايته الأبوية وفي خدمة سلطته أبداً، ومن تلك الآراء أن الكلام مع القيان ومغازلتهم ومصافحتهم أثناء السلام هو أمر مباح وليس عليه أي إشكالية دينية من حيث الحلال والحرام، إذ يقول: (( وكذلك مكاملة القيان ومفاكتهن، ومغازلتهم ومصافحتهم للسلام، ووضع اليد عليهن للتقليب والنظر، حلال ما لم يشب ذلك ما يحرم ))<sup>(٣٣)</sup> .

ويقدم الجاحظ تصويره الخاص عن الكيفية التي يتم عبرها الوصول إلى ذروة اللذة الجنسية بالنسبة إلى الرجل؛ وذلك عن طريق تشغيل الحواس الثلاث في عملية تنقية الجواني واقتنائها لغرض القبض على ثلاث شهوات ومتع في وقت واحد، فضلاً عن الحاسة الرابعة المتمثلة بالقلب للإحساس، وهي العين للرؤية والأذن للسمع واليد للمس والتقليب، إذ يقول:

(( فإذا جاء باب القيان اشترك فيه ثلاثة من الحواس، وصار القلب لها رابعاً. فللعين النَّظَرُ إلى القينة الحسنة والمشهية إذ كان الحذق والجمال لا يكادان يجتمعان لمستمتع ومرتع، وللسَّمْع منها حظُّ الذي لا مؤونة عليه، ولا تطرب آلتة إلا إليه وللمس فيها الشهوة والحنين إلى الباه

والحواسُّ كُلُّها رواد للقلب، وشهودٌ عنده وإذا رفعت القينة عقيرة حلقها تغني حذق إليها الطَّرْف، وأصغى نحوها السَّمْع، وألقى القلب إليها الملك، فاستبق السَّمْع والبصر أيهما يؤدي إلى القلب ما أفاد منها قبل صاحبه، فيتوافيان عند حبة القلب فيفرغان ما وعياه، فيتولد منه مع السرور حاسة اللمس، فيجتمع له في وقت واحد ثلاث لذات لا تجتمع له في شيء قط، ولم تود إليه الحواسُّ مثلها. فيكون في مجالسته للقينة أعظم الفتنة؛ لأنه روى في الأثر: " إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة ". وكفى بها لصاحبها فتنة، فكيف بالنظر والشهوة إذا صاحبهما السَّمْع، وتكافتهما المغازلة ))<sup>(٣٤)</sup>.

ويعلل الجاحظ بطريقة منطقية جداً الأسباب التي أدت إلى تهتك الجواري والقيان وانحطاط أخلاقهن، وفي مقدمتها البيئة الموبوءة والمناخ المريض الذي نشأ فيه بين اللطافة والزناة والمخانيث والمجان والخلاء والمتحللين عن كل عرف ودين وخلق قويم، فما تسبح فيه الجواري من مستنقع آسن بالرديلة وفساد بالقاذورات، هو الباعث على عهرهن ورداءة أخلاقهن وانحلالهن الاجتماعي والخلقي، إذ يقول: (( وكيف تسلم القينة من الفتنة أو يمكنها أن تكون عفيفة، وإنما تكسب الأهواء، وتتعلَّم الألسن والأخلاق بالمنشأ، وهي تنشأ من لدن مولدها إلى أوان وفاتها بما يصدُّ عن ذكر الله من لهو الحديث، وصنوف اللعب والأخانيث، وبين الخلاء والمجان، ومن لا يسمع منه كلمة جد ولا يرجع منه إلى ثقة ولا دين ولا صيانة مرؤة ))<sup>(٣٥)</sup>.

إن تلك الاعتقادات التي أطر الجاحظ بها خطابه الجنسي المتوزع على منجزه الثقافي كله، ولا سيما تلك التي تضمنت موقفاً نقدياً حيال الجنسانية العربية، تعد في حقيقة الأمر اللبنة الأولى والركائز الأساسية التي أعتمد عليها من جاء بعده من المثقفين القدامى المعنيين بحقل الجنسانية في تشكيل الخطاب الجنسي العربي<sup>(٣٦)</sup>.

ويرتدي النسق الذكوري في رسائل الجاحظ ثوباً آخر، يقدم المرأة بوصفها قليلة العقل وجاهلة ومتخلفة وحماة وسفیهة، في حين يسبغ على الرجل كل خصال العقل والحكمة والعلم والكياسة والوعي والحصافة، وهذا الأمر يتوافق مع النسق الثقافي الذي يحكم العصر العباسي برمته، وينسجم معه انسجاماً تاماً؛ لكونه ينظر إلى الرجل بوصفه نموذجاً للعقل وينظر إلى المرأة بوصفها مصداقاً للجسد<sup>(٣٧)</sup>، إذ يقول: (( وقد رأينا النساء أضعف من الرجال عقولاً ))<sup>(٣٨)</sup>.

وروى الجاحظ ما نصه: (( وسمع الحجاج وهو يسير كلام امرأة من دار قوم فيه تخليط وهذيان فقال : مجنونة أو ترقص صبياً ))<sup>(٣٩)</sup>.

الهذيان حالة غير طبيعية تلازم الإنسان في أوقات كثيرة، ومن أهمها المرض أو الحزن الشديد أو فقدان العقل والصواب وربما الفرح والسعادة الغامرة، لكن الحجاج بوصفه عينة للوعي / اللاوعي الذكوري، حينما سمع الهذيان العالي لتلك المرأة استبعد الاحتمالين الأولين ورجح الاحتمالين الآخرين، منطلقاً في ذلك من النظام الأبوي الذي يلصق بالمرأة كل عيب مشين ويتهمها بكل نقيصة وسوءة، فالمرأة في منخيل العربي أقرب إلى الجنون والتخريف والبله والبلادة والغباء وعدم التحكم بالمشاعر والعواطف وعدم القدرة على الاتزان وضبط النفس.

إن ما يمنح الرجل صفة العقل ويمده بجرعات التقدم والامتياز ويرجح كفته على المرأة، ليس مؤهلاته المعرفية وقدراته العقلية وطبيعته التي فطره الله عليها وواقعه الفعلي، بل امتلاك العضو الذكوري بوصفه أداة من الأدوات الفحولية الناجعة التي يمارس بها الذكر القمع والقهر الثقافي على المرأة ويفرض إرادته وسلطته عليها<sup>(٤٠)</sup>؛ وبهذا يكون ذلك التقدم

والامتياز مشرباً بأيدولوجيا الاخضاع ومشحوداً بالهيمنة الذكورية، وليس قائماً على أسس حقيقية ولا مرتكز على مباني واقعية، بل هو مجرد وهم ذكوري أسس له الرجل وولد اليقين الانثوي بحقيقته المقدسة، حتى (( .. ترسخ هذا الوضع إلى درجة وكأنما هو حتمية طبيعية بيولوجية ولقد عبر الرجل عن اعتقاده بهذه الحتمية التي تميز العقل بوصفه رجلاً عن العاطفة بوصفها أنثى وتجعل التمييز العقلي يرتبط بعلامات الرجولة مثل وجود عضو الذكورة وشعر الوجه ))<sup>(٤١)</sup>.

ويستمر النسق الذكوري عند الجاحظ في الازدراء بالمرأة والتلاعب بها بكل وقاحة وانانية واستكبار وبواظب على تبديل جلده بين الفينة والأخرى، كوسيلة دفاعية لتحديث منظومته وتجديد دمائه للمحافظة على حياته وبقائه ونموه واستمراره ويظهر هذا المرة بلباس آخر، يرمي الانثى بالحيلة والغدر والمكر والخديعة؛ لأنها طبعت على التقرب إلى الرجال والإيقاع بهم حينما كانوا ينعمون بالشباب والعنفوان ويرفلون بالنشاط والحيوية ويتعممون بالمال والثروة فإذا تصرم العمر وبددت الأموال وانضبت النقود واستهلكت الثروات وذبلت زهرة الشباب ودنى العمر من الهرم والشيخوخة، ففتتقي حاجتها إليهم وتبحث عن زبون آخر قال الشاعر:

(( فإن تسألوني بالنساء فإني بصيرٌ بأدواء النساء طيبٌ

إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له في ودهن نصيبٌ

يردُن ثراء المال حيث علمنه وشرخُ الشباب عندهنَّ عجبٌ ))<sup>(٤٢)</sup>.

وكذلك فإن من عيوب النساء أنهم يشيبن رأس الرجل ويسودن لونه ويكثرن بوله، إذ يقول: (( من عيوب المرأة أن الرجل إذا صاحبها شبيبت رأسه، وسودت لونه، وكثر بوله ))<sup>(٤٣)</sup>.

كما أنهم يتعبن الغني ويكلفن الفقير فوق طاقته واحتماله، إذ كم من غني ميسور أفلسته زوجته وجعلته يفقد عقله وصوابه ويجلس في بيته ويترك عمله ومعاشه، إذ يقول: (( يتعبن الغني، ويكلفن الفقير ما لا يجد. وكم من رجلٍ تاجرٍ مستورٍ قد فلسته امرأته حتى هام على وجهه، أو جلس في بيته، أو أقامته من سوقه ومعاشه ))<sup>(٤٤)</sup>.

وأكثر نموذجاً نسائياً واضخم شريحة انثوية تتميز بصفة المكر والخديعة والتحايل والتفنن في أساليب الغواية والإيقاع بالرجال والضحك على ذقونهم وعدم الصدق في مشاعرهن ازائمهم ولا الوفاء في الحب معهم، الجواربي والقيان اللواتي طبعن على هذه الفطرة المريضة والعادة القذرة وأصبحت منهجاً رئيساً في حياتهن العامة والخاصة؛ وذلك بفعل الجو المريض والبيئة الوسخة التي نشأت فيها من تحت أيدي النخاسين ومن سوق إلى آخر، إذ يقول: (( إن القينة لا تكاد تُخالص في عشقها، ولا تُنصح في ودها؛ لأنها مكتسبة ومجبوّلة على نصب الحباله والشرك للمتربطين .. ))<sup>(٤٥)</sup>.

ولهذا فإن الجاحظ يتهم النساء بوصفهن اساس البلاء والنكبة وآفة الخزي ومنيع المصيبة والعار بالنسبة إلى الرجل؛ لأنهن مصدر الزنى، إذ يقول: (( لو لم يكن من بليّة النساء إلا أنّ الرّنى لا يكون إلاّ بهنّ ))<sup>(٤٦)</sup> كذلك فأنهن مصائد إبليس وحبال الشيطان<sup>(٤٧)</sup>.

إن منطق الغلبة والقهر ولغة الاستبداد والجور هي التي تحكم العلاقة بين الرجل والمرأة في الحضارة العربية والإسلامية في العصر العباسي، ومن هنا فإن الرجل يصر على أخذ حقوقه كاملة وانتزاعها عنوة غير منقوصة، في حين أن المرأة ليس أمامها سوى أن تخضع للرجل وتدعن لسلطته بغض النظر عن مآله وتحولاته الصحية والنفسية والجنسية، وما يمنح الرجل ذلك الامتياز هو حيازته لأسلحة التفوق والتمكين والسلق، التي تجبر المرأة على التسليم للأمر الواقع والرضا بقسم الدنيا والاذعان للقضاء المحتوم<sup>(٤٨)</sup>؛ وعليه فإن المؤسسة الذكورية تجعل من حق الرجل أن يطلق زوجته ويستبدلها بأخرى إذا عانت من عاهة ما، ولا سيما التشوه الجسدي والقبح الخلقي، وهذا ما تباركه النساء ولا تعترض عليه مطلقاً؛ وذلك بفعل شدة التماهي وعظم الاندماج من جهتهن مع النسق الذكوري المتفرد في المجتمع العربي في العصر

العباسي ، بحيث أصبح فاقداً للشعور والاحساس ويحيين حالة من الفصام الحضاري والاستلاب الثقافي والاندماج الكلي والتنويم المغناطيسي، وصرن لا يشعرون بأي يؤس أو سوء أو قمع أو إهانة يتعرضن لها من تحت سوط ذلك النسق المشؤم، يروي الجاحظ : (( طَلَّقَ رَجُلٌ امْرَأَتَهُ، فَمَرَّ رَجُلٌ فِي بَعْضِ الطَّرِيقَاتِ فَسَمِعَ امْرَأَةً تَسْأَلُ أُخْرَى عَنْهَا فَقَالَتْ: الْبَائِسَةُ طَلَّقَتْهَا زَوْجَهَا! فَقَالَتْ: أَحْسَنَ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّةَ اللَّهِ، مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ التَّعَصُّبُ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ، وَأَسْمَعُكَ تَقُولِينَ مَا قُلْتَ. قَالَتْ: يَا هَذَا، لَوْ رَأَيْتَهَا لَعَلَّمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحَلَّ لَزَوْجِهَا الزَّوْنِي، مِنْ قُبْحِ وَجْهِهَا ))<sup>(٤٩)</sup>.

لطالما كانت الصورة التي يرسمها الجاحظ عن المرأة بهذا الغبش والبؤس وبتلك القتامة والسوداوية، وإذا كانت المرأة في متخيل الجاحظ إنما تشكل عاهة وعورة وعار وصغار، فمن الطبيعي أن يوظفها كسلاحاً استراتيجياً للنيل من الأعداء وإهانتهم وإسقاط الخصوم والمناوئين للسلطة العباسية التي يعمل في خدمتها، ولا سيما الحزب الأموي فقد تفاخر عليهم الجاحظ بكون معظم ساداتهم أذلاء ضعفاء قد قتلتهن النساء في حين إن أغلب رجالات الهاشميين قد قتلوا في سوح المعارك وجبهات القتال تحت ظل السيوف ووقع النبل وطعن الرماح، إذ يقول : (( .. كأنه لم يعد قتل معاوية بن المغيرة بن أبي العاص قتلاً إن كان إنما قتل في غير معركة وكذلك قتل عثمان بن عفان إذ كان إنما قتل محاصراً ولا قتل مروان بن الحكم لأنه قتل خنقاً خنقته النساء .. ))<sup>(٥٠)</sup> وفضلاً عن ذلك فإن البيت الهاشمي قد تميز عن البيت الأموي بكثرة الذكور بينما كانت كثرة النساء من نصيب البيت الأخير<sup>(٥١)</sup>.

ويستمر الجاحظ في توجيه ضرباته المتتابعة للبيت الأموي ، ولكن هذه المرة يعكس القضية ويقلب المعادلة ، فيرى إن نساء بني العباس أكثر سخاء وكرم وعطاء من رجالات الأمويين ولا مجال للموازنة بين الطرفين، على الرغم مما عرفت به النساء من البخل والشحة والوهن والذلة ، إذ يقول : (( وإن أريد الموازنة بين ملوك بني العباس وملوك بني أمية في العطاء افتضح بنو أمية وناصرهم فضيحة ظاهرة فإن نساء بني العباس أكثر معروفات من رجال بني أمية ولو ذكرت معروف أم جعفر وحدها لأتى ذلك على جميع صنائع بني مروان وذلك معروف ولو ذكرت معروف الخيزران وسلسيل لمألت الطوامير الكثيرة .. ))<sup>(٥٢)</sup>.

لقد حفر الجاحظ في ذاكرة العصر العباسي صورة للمرأة في منتهى الاستصغار والازدراء والاحتقار والذلة والسخرية والامتهان، إذ جعلها مجعاً لكل عيب وصغار وسوءة ومثلبة ، فصورها بالصور الأتية :

- ١- موضوعاً جنسياً وجسداً شبقياً ومعيناً لا ينضب من الشهوة الجنسية الطاغية لإمتاع الرجل وتفريغ شهوته الهائجة .
- ٢- جاهلة قليلة العقل عديمة الوعي والبصيرة .
- ٣- محتالة وغدارة وماكرة ولعوب .
- ٤- خائنة لأنها سبب الزنى ومصدر الخزي والعار الذي يلحق بالرجل من جرائمها .
- ٥- قبيحة المنظر ومشوهة المظهر .
- ٦- إحدى وسائل الشيطان الناجعة التي يتوسل بها لغواية الصالحين من عباد الله وفتنتهم والابقاع بهم وجرجرتهم إلى طريق الانحراف والهوى .

وفي ذلك ينطلق الجاحظ من ذاكرته الجمعية في صوغ خطابه الجنسي المتناغم مع النسق الثقافي العام الحاكم للعصر العباسي، الذي يمنح الأولوية والامتنياز للرجل على حساب المرأة في كل شيء، ويسعى إلى مركزة الرجل وتمتين مرتبته وتهميش المرأة وتأخيرها على كافة الصعد والمستويات، إذ (( تظهر المرأة وكأنما هي كائن طبيعي مطلق الدلالة وتام الوجود من حيث الأصل ولكنها تحولت بفعل الحضارة والتاريخ إلى كائن ثقافي جرى استلابها وبخس حقوقها لتكون ذات دلالة محددة ونمطية ليست جوهراً وليست ذاتاً وإنما هي مجموعة صفات ))<sup>(٥٣)</sup>.

الخاتمة :

لقد برهننا بما لا يدع مجالاً للشك من خلال سير هذا البحث بأن الجاحظ بوصفه مثقفاً منتمياً إلى ذلك المجتمع العربي الذكوري الذي ترعرع به ومتغنياً على ثقافته الذكورية الممعة في ممارستها للقمع حيال المرأة على الصعد والمستويات كافة قد نصر الرجل على حساب المرأة، وجاهد من أجل مركزة الذكر وتمتينه وتهميش الأنثى واقصائها منطلقاً في ذلك من ذاكرته الجمعية التي هيمنت على منظومته الفكرية والسلوكية ومستجيباً للأساق الثقافية السائدة في عصره ومساهماً في الآن نفسه في تكريس الوضع الراهن، وتعزيز النسق الثقافي الذكوري المتين في الثقافة العربية والإسلامية .  
هوامش البحث :

- (١) ينظر: الحياة الجنسية عند العرب : ١٤٩ .
- (٢) ينظر: دراسات في الأدب العربي - العصر العباسي : ٢١ .
- (٣) ينظر: المناحي الفلسفية عند الجاحظ : ٢٤ - ٢٩ ، والجاحظ ومجتمع عصره في بغداد : ٢٣ - ٢٤ .
- (٤) ينظر: ضحى الإسلام : ١ / ١١٣ ، ودراسات في الأدب العربي - العصر العباسي : ٢١ ، والحضارة العربية في القرن الثالث الهجري : ٥٨ ، ومدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية : ٩٤ ، وتاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ : ٢ / ٣٨ ، وتاريخ الأدب العربي، بروكلمان : ٢ / ١١ ، والحياة الأدبية في العصر العباسي : ٢٣ ، والجواري والشعر في العصر العباسي الأول، ابتسام الفريح : ٢٨ ، وحياة الشعر في الكوفة في القرن الثاني الهجري : ١١١ - ١١٢ ، والأدب العربي في العصر العباسي : ٥٦ - ٥٧ ، واتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري : ٢١٤ - ٢١٥ - ٥٠٢ - ٥٢٠ ، والشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفى الشكعة : ١٨٧ - ١٨٨ ، والعالم الإسلامي في العصر العباسي : ٢٤٤ ، ودراسات في تاريخ العرب - العصر العباسي الأول : ٣ / ٣٢٥ ، وتاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف : ٣٨٢ ، والفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١٠٠ - ١٠٧ ، والمناحي الفلسفية عند الجاحظ : ٢٤ .
- (٥) ينظر: تاريخ التمدن الإسلامي : ٥ / ٣٥ ، وضحى الإسلام : ١ / ١٠١ - ١٠٥ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان : ٢ / ٢١ ، والآداب العربية في العصر العباسي الأول : ٣٣ ، والحضارة العربية في القرن الثالث الهجري : ٥٥ ، ومطلع العصر العباسي : ١٥٦ ، ومدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية : ٩٤ ، والشعر في بغداد في القرن الثالث : ٢٩٠ ، وتاريخ العصر العباسي : ٣٥٠ ، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : ١ / ٢٦٣ - ٢٧٥ ، والعالم الإسلامي في العصر العباسي : ٢٤٢ ، وتاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف : ٨٠ - ٨٥ ، والجواري والشعر في العصر العباسي الأول : ٢٤ - ٣٠ .
- (٦) ينظر: تاريخ التمدن الإسلامي : ٥ / ١٣٣ - ١٣٥ ، وتيارات ثقافية بين العرب والفرس : ١٢٠ ، ودراسات في الأدب العربي - العصر العباسي : ١٢٠ .
- (٧) ينظر: العرب انتصاراتهم وامجاد الإسلام : ١٦٦ ، وتاريخ التمدن الإسلامي : ٥ / ١٣٥ ، ٤ / ١٧٣ ، وتيارات ثقافية بين العرب والفرس : ١٢٠ ، والآداب العربية في العصر العباسي الأول : ٣٢ ، وتاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ : ٢ / ٣٨ ، والشعر في بغداد في القرن الثالث : ٢٩٠ ، وضحى الإسلام : ١ / ٢٩ ، والوجه الآخر للخلافة الإسلامية : ٧٨ ، والنظم الإسلامية ، د. حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن : ٣١٣ ، والتاريخ الإسلامي، محمود شاكر : ١ / ٥ /

١٣٨ - ٢١٤ ، وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ، د. حسن إبراهيم حسن : ٢ / ٣٢٦ - ٣٥٢ ، والسقوط الأخير - تاريخ الصراع على السلطة من ظهور الإسلام وحتى الوقت الحاضر ، محمد الحسيني إسماعيل : ٩٨ - ٩٩ .

(٨) ينظر: الشعر في بغداد في القرن الثالث الهجري : ٢٩٠ .

(٩) تاريخ التمدن الإسلامي : ٥ / ١٣٣ .

(\*) يحيل مصطلح النظام الأبوي بنحو عام على ضرب من المجتمعات التقليدية ذات الصبغة البدائية المتخلفة، التي تكتسي طابعاً مميزاً بالنسبة إلى الأنظمة الاجتماعية الكلية، (المجتمع والدولة والاقتصاد والثقافة فضلاً عن البنين الجزئيتين (العائلة والشخصية)، التي تشكل بتحالفها جميعاً علامة فارقة وسمة مميزة تتسم بمظاهر نوعية من التخلف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي تعرقل تقدمه وتعيق تطوره، كما يتصف هذا النظام الأبوي بالتحجر والجمود والازدواجية والتناقضات الداخلية التي تمزقه وتستنزف قواها وطاقاته وامكانياته كلها ، وتجبر عناصره إلى النزوح نحو الإحساس بالضيق والتهان والاستلاب والتشتت؛ مما يؤدي إلى تصور وضعي للذات وتقييم في منتهى الدونية والاحتقار بالنسبة لها، وعادة ما يستخدم مصطلح النظام الأبوي لإحالة على لون من المجتمعات التي تغزوها نمط من التفكير والممارسة والسلوك، ويكتسحها شكل مميز من التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، الذي يشكل بنية اجتماعية نوعية تتوجد بأشكال مختلفة، ومن بينها النزعة الأبوية في المجتمع العربي ذات طابع نوعي له خصوصية تاريخية وجغرافية ، تتعلق بالبيئة الصحراوية التي انتجت نظاماً بطريركياً هيمن على الساحة العربية منذ فجرها الأول وحتى وقتنا الحاضر، ولعل من أهم الموصفات التي يتصف بها المجتمع ذو النظام البطريركي هي :

١ - تبعيته المفرطة وانسياقه الاعمي للبنى التقليدية، ومعاناته من التأخر والضعف والعجز والنكوص والفشل، وافتقاره إلى الطاقة الداخلية والوعي الذاتي المطلوب للنهوض بنفسه من مستنقع التخلف والمرض والجهل إلى التقدم والتطور والتنوير .

٢ - انغراس النزعة الأبوية البطريركية في سويداء قلب المجتمع، والتي تتجلى في سيطرة الأب على العائلة، فالأب (البلع / الإله) هو المحور الذي تلتف حوله العائلة، وهو رب البيت وعموده وهيمنة الأب في العائلة شأنه في المجتمع، إذ تتأطر العلاقة بين الأب وأبنائه وبين الحاكم ورعيته بإطار هرمي، فأرادته مطلقة ويتم الإقرار بها بالإجماع القسري الذي يتأسس على التسلسل من جهة والانصياع والطاعة والركوع من جهة أخرى، التي تتمظهر على مستوى الأسرة والقبيلة في القيم والأعراف والعادات والتقاليد وفي طرائق التربية ووسائل التنشئة الاجتماعية، التي تعمل على تشكيل نوع الثقافة ونمط الشخصية؛ عبر توطين القيم والعلاقات الاجتماعية التي يحتاج إليها المجتمع الأبوي والشخصية البطريركية .

٣ - النظام الأبوي بوصفه تكويناً اجتماعياً وبنية مفارقة ناتجة عن شرائط ولوازم حضارية ومقتضيات ومتطلبات تاريخية معينة، ينظر إليه من الناحية التاريخية بوصفه سلسلة معينة من المراحل، إما من الناحية البنيوية فينظر إليه بعده سلسلة من الأنواع المترابطة، يرتبط كلاً منها بمرحلة انتقالية بالضرورة .

٤ - استشراف الانتماءات القبلية والطائفية في العلاقات الاجتماعية والعلاقات الفردية، وفي السلطة الأبوية نفسها وتغليبها على الانتماءات الأخرى ينظر: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، إبراهيم الحيدري: ٣١٠ - ٣١١ .

(١٠) النسوية وفلسفة العلم، د. يمني طريف خوري، مجلة عالم الفكر : ٢ / ١٢ ، ٢٠٠٥ .

(١١) ينظر: انثوية العلم - العلم من منظور الفلسفة النسوية، ليندا جين شيفرد ، ترجمة د. يمني خوري : ١١ .

(١٢) ينظر: خطاب الجنس - مقاربات في الأدب العربي القديم، هيثم سرحان : ١٣٩ .

(١٣) ينظر: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب : ٢٧٤ .

- (١٤) النسوية وفلسفة العلم : ٢ / ٩ .
- (١٥) ينظر: النزوع الجنسي الانثوي، جاك أندرييه، ترجمة إسكندر غريب معصب : ١٩ .
- (١٦) الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية – دراسة جنديرية، أمال قرامي : ٩٠١ .
- (\* ) كلمة جنسية خادشة للحياء تدل على فرج الذكر .
- (\* \*) كلمة جنسية خادشة للحياء تدل على الاتصال الجنسي .
- (\* ) كلمة جنسية خادشة للحياء تدل على فرج المرأة .
- (١٧) رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٣٤ . أورد الجاحظ مروية أخرى على شاكلة هذه المروية الجنسية . ينظر: المصدر نفسه : ٣ / ١٣٣ - ١٣٤ .
- (١٨) رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٣١ .
- (١٩) رسائل الجاحظ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٣١ .
- (٢٠) استبعاد النساء، جون سيتواريت ميل ترجمة د. امام عبد الفتاح : ١٣ - ١٤ .
- (٢١) رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٣١ .
- (\* ) كلمة جنسية خادشة للحياء تدل على الاتصال الجنسي .
- (٢٢) رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٣٥ .
- (٢٣) النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب : ٢٨٦ .
- (٢٤) رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٢٦ - ١٢٧ .
- (\* \*) كلمة جنسية خادشة للحياء تدل على الاتصال الجنسي .
- (\*\*\*) قضيب صناعي .
- (\*\*\*\*) كلمة جنسية خادشة للحياء تدل على الاتصال الجنسي .
- (\*\*\*\*\*) كذلك .
- (٢٥) رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٣٥ .
- (٢٦) المرأة واللغة ، د. عبد الله الغدامي : ٣٥ .
- (٢٧) ينظر: المصدر نفسه : ٢٩ .
- (٢٨) ينظر: خطاب الجنس – مقاربات في الأدب العربي القديم : ١٨٨ .
- (٢٩) المرأة واللغة : ٣٦ - ٣٧ .
- (٣٠) ينظر: خطاب الجنس – مقاربات في الأدب العربي القديم : ١٦٠ .
- (٣١) ينظر: المصدر نفسه : ٢١٧ .
- (٣٢) خطاب الجنس – مقاربات في الأدب العربي القديم : ١٨٧ .
- (٣٣) رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٦٣ .
- (٣٤) رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٧٠ - ١٧١ .
- (٣٥) المصدر نفسه : ٣ / ١٧٦ .
- (٣٦) ينظر: خطاب الجنس – مقاربات في الأدب العربي القديم : ٩٤ .

- (٣٧) ينظر: المرأة واللغة : ١٠ .
- (٣٨) رسائل الجاحظ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ١ / ١٩٦ .
- (٣٩) المصدر نفسه : ٣ / ٣٧ .
- (٤٠) ينظر: سطوة النهار وسحر الليل – الفحولة وما يوازيها في التصور العربي، عبد المجيد جحفة : ١٧ .
- (٤١) المرأة واللغة : ٣٥ .
- (٤٢) رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ٩٩ .
- (٤٣) رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٠٢ .
- (٤٤) المصدر نفسه : ٣ / ١٠٢ .
- (٤٥) المصدر نفسه : ٣ / ١٧١ .
- (٤٦) المصدر نفسه : ٣ / ٩٩ .
- (٤٧) ينظر: المصدر نفسه : ٣ / ١٠٢ .
- (٤٨) ينظر: خطاب الجنس – مقاربات في الأدب العربي القديم : ١٥٩ – ١٦٠ .
- (٤٩) رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٣ / ١٢٧ .
- (٥٠) رسائل الجاحظ ، تحقيق حسن سندويي : ٨٥ .
- (٥١) ينظر: رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٤ / ١٢٣ – ١٢٤ .
- (٥٢) رسائل الجاحظ ، تحقيق حسن سندويي : ٨٨ .
- (٥٣) المرأة واللغة : ١٦ .

#### المصادر والمراجع :

- اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- الاختلاف في الثقافة الاسلامية – دراسة جندرية ، آمال قرامي، المدار الاسلامي، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٧ م .
- الآداب العربية في العصر العباسي الأول، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت، لبنان، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد ، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٤ م .
- انثوية العلم – العلم من منظور الفلسفة النسوية، ليندا جين شيفرد، ترجمة د. يمنى خوري ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، ٢٠٠٤ م .
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال، مصر .
- تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول والثاني ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ .

- تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، طه، مصر.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٦م.
- التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط٦، ٢٠٠٠م.
- تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- تاريخ العصر العباسي، د. أمينة بيطار، جامعة دمشق.
- تيارات ثقافية بين العرب والفرس، د. أحمد محمود الحوفي، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢.
- الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، جميل جبر، دار صادر، بيروت، لبنان.
- الجواري والشعر في العصر العباسي الأول، سهام عبد الوهاب الفريح، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨١م.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، آدم منتز، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طه.
- الحياة الأدبية في العصر العباسي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤م.
- الحياة الجنسية عند العرب من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع الهجري، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.
- حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، د. يوسف خليف، المجلي الأعلى للثقافة، المكتبة العربية.
- خطاب الجنس - مقاربات في الأدب العربي القديم، هيثم سرحان، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
- دراسات في الأدب العربي العصر العباسي، د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، د. عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٣م.
- رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق حسن سندوبي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط١، ١٩٣٣م.

- رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة .
- سطوة النهار وسحر الليل – الفحولة وما يوازيها في التصور العربي، عبد المجيد جحفة، دار تويقال، المغرب، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- السقوط الأخير – تاريخ الصراع على السلطة منذ ظهور الإسلام وحتى الوقت الحاضر، محمد الحسيني إسماعيل، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط ٢ ، ١٩٩١ م .
- الشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ط ٦ ، ١٩٨٦ م .
- ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- العالم الإسلامي في العصر العباسي، د. حسن أحمد محمود ود. إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي، ط ٥ .
- العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام ، أنتوني نتج ، ترجمة د. راشد الدراوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٤ م .
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ، ط ١١ .
- مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، مجموعة من الباحثين العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط ٢ ، ١٩٨٩ م .
- المرأة واللغة، د. عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ٢٠٠٦ م .
- مطلع العصر العباسي الثاني – الاتجاهات السياسية والحضارية في خلافة المتوكل على الله (٢٣٢هـ – ٢٤٧هـ)، د. نادية حسني صقر، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١ ، ١٩٨٣ م .
- معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، أحمد عبد الباقي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- المناحي الفلسفية عند الجاحظ، د. علي بو ملح، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م .
- النزوع الجنسي الانثوي، جاك أندرييه، ترجمة إسكندر غريب معصب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .

- النسوية وفلسفة العلم، د. يمنى طريف خوري، مجلة عالم الفكر : العدد (٢) ، ٢٠٠٥ .
- النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، إبراهيم الحيدري، دار الساقى، بيروت، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- النظم الإسلامية ، د. حسن إبراهيم حسن ود. علي إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- الوجه الآخر للخلافة الإسلامية، سليمان فياض، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩ م .